التأثيرات الفنية المتبادلة بين عمائر مصر
فى عصر المماليك
وما يعاصرها فى بلاد آسيا الوسطى

دكتور

جمال عبد الرحيم إبراهيم

المدرس بقسم الآثار الإسلامية

كلية الاثار - جامعة القاهرة

التأثيرات الفنية المتبادلة بين عمائر مصر فى عصر المماليك وما يعاصرها فى بلاد آسيا الوسطى

تكمن هذه الدراسة فى معرفة التأثيرات الفنية الزخرفية التى شوهدت على آثار مصر فى عصر دولة المماليك بشقيها وآثار جمهوريات بلاد آسيا الوسطى خاصة فى عمائر حكام المغول ومن بعدهم التيموريين . فمن خلال دراسة العمائر الإسلامية فى كل من المنطقتين السابقتين وجد أن هناك عدة عناصر زخرفية ومعمارية قد تشابهت من حيث الشكل والمضمون ، ومن أبرز تلك العناصر الزخارف النباتية بأنواعها والزخارف الهندسية خاصة أشكال المعينات والأشكال النجمية والزخارف الكتابية خاصة الخط الكوفى المربع والخط والكوفى المورق على أرضية نباتية . ومن العناصر المعمارية المتشابهة بناء وزخرفة القباب خاصة المضلعة منها وعنصر العمود المدمج وزخرفته .

كل هذه العناصر الزخرفية والمعمارية المتبادلة بين مصر آسيا الوسطى تدل على عمق العلاقات سواء سياسية أو تجارية أو فنية أو اجتماعية ، ولا غرابة فى ذلك إذ من المعروف تاريخياً كما سيأتى الحديث مفصلا كما سيأتى الحديث مفصلا أن المماليك الذين قدر لهم بأن يأسسوا أعرق حضارة إسلامية فى مصر على مدار التاريخ الإسلامى كانوا من الأتراك المجلوبين من بلاد القفجاق شمال البحر الأسود ، ومن بلاد القوقاز قرب بحر قزوين ، هذا من جهة ، بالإضافة إلى وجود علاقات ود وتقارب بين المماليك ومغول القفجاق (القبيلة الذهبية) وذلك بعد أن أعتنق زعيمهم بركة خان الإسلام من جهة أخرى . ومن هنا تكون البداية . .

المعروف تاريخيا أن الإسلام دخل بلاد آسيا (ما بين النهرين) سنة ١٨هـ ، ٦٢٩م بقيادة عياد بن غانم[١] ثم بعدها بعام وصل ارمينيا ودخل عاصمتها إلا أن

(١) Nasiliev (A.), Byzance et les Arabes. Bruxelles, 1950. Part I, P. 16.

* آثار الإسلام التاريخية فى الاتحاد السوفيتى : الإدارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى . طشقند ١٩٦٣م ص١ .

العـــرب لـــم يمكثـــوا بـــها طـــويـلا عـــادوا يـحملون كثـــيرا مـــن الغنائـــم والأســـرى[١] .

والتـحول الحـقيقـى للعلاقات بـــين بلاد ما وراد النهر والدولة الإسـلامية كان فى سنة ٨٦هـ / ٧٠٥م فى العصر الأموى[٢] ، حيث تفيـد المصادر التاريخـية أن الأمويين أشركوا رجالا من أهل هذه المنطقة فى حروبهم[٣] على الرغم من أن التـقاليد الإسلامية منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب كانت تمنع غير المسلمين من الاشتراك فى الجيش[٤] .

ومنذ ذلك الـتاريخ بدأت الحملات الأموية تـتجه إلى بلاد آسيا لنـشر الإسلام فى طخارستان وبخارى ووادى جيـحون وبلاد الصغد وغيرها على يد القائد قـتيبة بن مسلم عامـل خـراسان من قبل الحجاج بن يـوسـف الثقفى الـذى أمـر ببناء مســاجد فى هذه البلدان[٥] خاصـة فى بخارى وسمرقند لتثبيت السيادة العربية الإسلامية والانتشار بالطرق السلمية .

واستمر انتشـار الإسلام وتوطيد حكمه خلال العـصر العباسى[٦] إلى أن ظـهرت الحركات الاستقلالية فقامت عدة دول مستقلة مثل الدولة الطاهرية والدولة السامانية ٢٦١ - ٣٨٩هـ - ٨٧٤ - ٩٩٩م وكانـت عاصمتـهم الأولى بخـارى ثم سمرقـند فى اقلـيم التـركستـان ثـم تمـكنوا سـنة ٥٨١ هـ / ٩٠١م مـــن ضـــم اقلـيم خـــرسان إلـــى سلطانهـم[٧] . وكذلك دولة القراخانيين نهاية ق ٤ - ٦ هـ / ١٠ - ١٢م . ودولة بنى

(١) آرام تير - غيفونديان : المرحلة الأولى من تشكيـل الأقليم الحدودى العربى (الثغور) . (أبحاث جديدة للمستعربين السوفيت الكتاب الثانى) أكاديمية العلوم السوفيتية - موسكو ١٩٨٧م ص ١٠٦ .

(٢) حسـن أحمد محمـود : الإسـلام فى آسيا الوسطى (بين الفتحين العـربى والتركى) القاهرة ١٩٧٢م ، ص ١٤٥ .

(٣) Barthold, Histoire des Turcs d'Asie Centrale Paris 1938, P. 20.

(٤) حسن أحمد محمود : المرجع السابق ص ١٤٦ .

(٥) البلاذري (أحمـد بن يحيى بن جـابر) : فتوح البلدان . نـشره ووضع ملاحقه وفـهارسه د. صلاح الدين المنجد . القسم الأول . مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٦ ص ٢٣١ .
ياقوت الحموى (شهاب الـدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومـى البغدادى) : معجم البلدان . المجلد الخامس . بيروت ص ٤٥ : ٤٨ .

(٦) Barthold, Op. Cit., P. 36.

(٧) Grube (E.), The world of Islam. London, 1966. P. 41.

بـوية ٣٢٠ - ٤٤٨هـ / ٩٣٢ - ١٠٥٦م والدولـة الغزنـوية ٣٥١ - ٥٨٢هـ / ٩٦٢ - ١١٨٦م ثم دولـة السلاجـقة ٤٣٩ - ٧٠٠ هـ / ١٠٣٧ - ١٣٠٠م ثم المـغول ٦٥٦ - ٧٣٦هـ / ١٢٥٨ - ١٣٣٦م ثم الدلة التيمورية ٧٧١ - ٩٠٦ هـ / ١٣٦٩ - ١٥٠٠م ثم الدولة الصفوية ٩٠٧ - ١١٤٨ هـ / ١٥٠٢ - ١٧٣٦م[١] .

ومن أهم عمائر الدول الـسابقة والجديرة بالذكر على أساس أنـها أثرت بدور فعال فى العناصر الزخرفية والفنية على عمائر المغول والتيموريين - موضوع البحث - وعمائر المماليك فى مصر العمائر الآتية : -

* مسجد نايين مـن عصر بنى بويه بمدينة يزد والذى شـيد فى حوالى سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦٠م وأهم ما يميز زخارفه تلك الزخارف الجصية النباتية الرائعة[٢] .

* ضريح اسماعيل بن أحـمد السامانى من عصر الدلة السامانـية بمدينى بخارى والذى يرجع إلـى حوالى ٩٨ هـ / ٩٠٧م . وأهم مـا يميز عناصره الـزخرفية والمعـمارية استخدام الطوب الأجر فى بنائه وكذلك شكل قبته واعمدته المدمجة[٣] .

* البوابة الجنوبية لمسجد مغاك عطـارى من العصر القراخانى ترجع إلى القرن ٦ هـ / ١٢م ويتميز بجمالها الزخرفى الهندى[٤] .

* برج السلطان مـحمود بن سبكتيجين فـى عصر الدولة الغزنوية بمديـنة غزنة والذى شيد سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٠م وأهم صفاته المعمـارية استخدام الطوب الآجر أيضا فى بنائه وكذلك الكتابة الكوفية المورقة على أرضية نباتية[٥] .

* المسجد الجامـع فى عصر الدول السلجوقيـة بمدينة اصفهان والذى اقامـه الوزير نظام الملك فى حوالى ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م فى عهد السلطان ملك شاه وأهم صفاته المعمارية والزخرفية حليات المقرنصات المزخرفة بزخارف نباتية وكتابات كوفية .

أما عمارة العصـر المغولى ومن بعده العصر الـتيمورى فهى بطبيعـة الحال معاصرة

(١) برتولد شبـولر : العالم الإسلامي فى الـعصرى المغولى - نقلـه إلى العربية خالد أسـعد - راجعه د. سهيل زكار دمشق ١٩٨٢م ص ١٧٢ : ١٧٩ .

(٢) زكى محمد حسن : الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى - القاهرة ١٩٤٠م شكل ١ ، ٢ .

(٣) آثار الإسلام التاريخية فى الاتحاد السوفيتى لوحة (١) .

(٤) المرجع نفسه لوحة (٨) .

(٥) زكى محمد حسن : المرجع السابق شكل (٩) .

لعمائر العصر المملوكى فى مصر - موضوع البحث - وسيقتصر الحديث هنا عن تلك العمائر التى بنيت فى مناطق جمهوريات روسيا المستقلة والتى تعرف من قبل بالاتحاد السوفيتى .

فالمعروف تاريخيا أن الفتوح المغولية وغزو تيمورلنك من بعدها فى مناطق آسيا الوسطى كانت من أهم أسباب القضاء على كثير من الآثار الفنية التى لا يمكن تعويضها ولكن سرعان ما لبث خلفاء المغوليين والتيموريين بعد أن استقر سلطانهم أن تمدنوا وبدوا حماة للعلوم والفنون بعد دخولهم الإسلام .

فقد قامت الدولة المغولية بقيادة جنكيز خان بدخول بخارى سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩م ومن بعدها سمرقند فخرب جنده المنازل والجوامع ومزقوا المصاحف واتخذوا من صناديقها مذاود لخيولهم[١] .

ولما عاد جنكيز خان إلى بلاده فى فارس عقد « القرلتاى » مجلس شورى المغول عام ٦٢١هـ / ١٢٢٤م وفيه قسم مملكته المترامية الأطراف بين أبنائه فاستقل فرع من الأسرة بحكم اقليم بخارى غرب تركستان تعرف بأسرة جغتاى (شاجاتاى) ٦٣٥ - ٦٤١هـ / ١٢٢٧ - ١٢٤٢م الابن الثانى لجنكيز خان[٢] .

ثم قامت الجيوش المغولية بمهاجمة السلاجقة واحتلال جنوب روسيا (سابقاً) حيث استقر بعضهم فى حوض نهرى الفولجا والدون السفلى واسسوا هناك مملكة عرفت بالقبيلة الذهبية[٣] . وكان أمير هذه القبيلة هو بركة خان ٦٥٤ - ٦٦٥هـ / ١٢٥٦ - ١٢٦٧م[٤] .

---

(١) أحمد السادات : تاريخ الدل الإسلامية بآسيا وحضارتهم - القاهرة ١٩٧٩م ص ١٩٣ ، ١٩٥ .

(٢) أمجد بوهميل بروخازكا: خوارزم . منظمة العواصم والمدن الإسلامية . طبعة أولى ١٩٩١م ، ص ١٥١ .

(٣) تامارا رايس : السلاجقة ، ترجمة لطفى الخورى وإبراهيم الداقوقى . مراجعة عبد الحميد العلوجى . بغداد ١٩٦٨م ، ص ٨٤ .

(٤) هو أول أمير مغولى دخل الإسلام فى بلاد روسيا ، ويقال أنه اجتمع مع بعض التجار المسلمين من بخارى وسألهم عن عقائد الإسلام فلما شرحوا له مبادئ الإسلام اقتنع بهذا الدين . ومن المعروف أن جيش هذا الأمير كان كله من المسلمين وأن كل فارس فى هذا الجيش كان يحمل سجادة للصلاة .

- انظر طه الولى : صفحات من تاريخ والمسلمين فى بلاد السوفيات الطبعة الأولى - بيروت ١٩٨٠م ، ص ٧٣ .

وكانت هناك علاقة ود ومحبة بين هذا الأمير وحكام المماليك فى مصر ، وكانت بداية هذه العلاقة أن أمر بركة جيشه الذى اشترك مع هولاكو فى فتح وتدمير بغداد ، أمرهم أن يتركوا هولاكو ويتوجهوا إلى مصر لدعم المماليك ، وهكذا اتحد لأول مرة خان القبائل الذهبية بركة مع قوة أجنبية (مصر المملوكية) ضد أخوته المغول مما سهل انتصار المماليك فى عين جالوت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م التى صارت نقطة التحول لثبات وقيام النظام المملوكى فى مصر والشام ، وكان لتشابه طبيعة كل من المنطقتين (المغول والمملوكية فى مصر والشام) السرعة فى عمل تبادلات تجارية وفنية فمصر تقع على النيل والقبائل الذهبية على الفولجا هذا من جهة أما من جهة أخرى فنجد أن الطبقة الحاكمة فى كل منهما تتألف من أفراد يتمتعون بالخصائص التركية ويحكمون شعباً ذا طبيعة مختلفة تماماً وكذلك اعتناق كليهما الديانة الإسلامية . وهكذا فقد استقبلت الدولتان نبأ التحالف الرسمى عام ٦٥٩هـ / ١٢٦١م بكثير من الارتياح[١] .

وأدت هذه العلاقات المتبادلة فى كل النواحى خاصة الدينية والثقافية والفنية إلى التشابه والتأثير على فنون وعمارة كل من القطرين[٢] .

اضـ ذلك قام السلطان بيبرس باستقدام مماليك من جنوب روسيا والقوقاز كانوا يشحن إلى ميناء الاسكندرية على يد وسطاء بيزنطين وايطاليين[٣] .

وقد استمرت هذه العلاقات الطيبة طيلة العصر المملوكى البحرى خاصة فى أيام أبناء بركة خان المسلمين والمماليك مثل الأمير منكوتمر (ميكوتمر) ٦٦٦ - ٦٧٩هـ / ١٢٦٧ - ١٢٨٠م وتودامنكو ٦٧٩ - ٦٨٦هـ / ١٢٨٠ - ١٢٨٧م[٤] .

فا ت هناك علاقة بين هذين الأميرين وكل من السلطان المنصور قلاوون ٦٧٨

(١) المقريزى (تقى الدين أحمد ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م) : كتاب السلوك فى معرفة دول الملوك ، الجزء الأول - القسم الثانى صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة . طبعة ثانية ١٩٥٧ ص ٤٦٥ .

(٢) رتولد شبولر : المرجع السابق ص ١٠٦ .

(٣) المرجع نفسه : ص ٩٤ .

(٤) رؤوف الانصارى : عمارة المساجد . دراسة فى تاريخ عمارة المساجد خلال العهود الإسلامية . بيروت ١٩٩٦م ، ص ١٥١ .
عبد العزيز عبد الدايم : مصر فى عصر المماليك والعثمانين . القاهرة ١٩٩٦م ، ص ٦٦ .

- ٦٨٩هـ / ١٢٧٩ - ١٢٩٠م السلطان العادل زين الدين كتبغا ٦٩٤ - ٦٩٦ هـ / ١٢٩٤ - ١٢٩٧م فاستمرت علاقة تبادل التجارة وارسال الفنانين والمثقفين فكانت مصر ترسل البضائع الحضارية مثل المنسوجات والفواكه والعطور النادر وحتى الحيوانات الغريبة وما شابهها وكانت أيضاً ترسل الصناع الحرفيين وعلماء الدين الذين كان لنشاطهم أثاراً هامة فى تطور حياة المغول . فضلاً عن التأثيرات السورية والمصرية . وقامت كل من بخارى وسمرقند بعمل نفس الشئ ونتج بذلك تفاعل قوى فى العلاقات خاصة الفنون وانعكس ذلك على العمائر فى كل من المنطقتين من حيث التكوين والزخرفة وهكذا اكتسبت المعالم الحضارية على نهر الفولجا وما حوله مظاهر إسلامية آتية من حوض البحر المتوسط[١] .

وهكذا استمرت العلاقات الطيبة قائمة بين المماليك والمغول إلى أن انهارت الثانية بسبب الخلافات الداخلية وحلت محلها دولة التيموريين .

أما علاقة التيموريين بالمماليك فكانت يسودها العنف والانتقام على عكس المغول ، فالمعروف تاريخياً أن تيمور لنك ٧٣٦ - ٨٠٧هـ / ١٣٣٦ - ١٤٠٥م مؤسس هذه الأسرة ينتمى إلى بيت من اشراف التتار المغول ولد فى مدينة سمرقند وتألق نجمه فيها واتخذها قاعدة لملكه وأعماله التوسعية فتمكن من الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر وخراسان وطبرستان حتى استولى على مدينة تبريز ٧٨٩ هـ / ١٣٨٦م كما خرب الرها فى العام التالى . ولم يلبث حكام ماردين وبغداد وغيرهما أن كتبوا إلى السلطان برقوق فى مصر يستنجدون به ضد تيمور ولكن سرعان ما قام تيمور بالاستيلاء على بغداد سنة ٧٩٤ هـ / ١٣٩٣م[٢] . وقتل كثيراً من أهلها وخربها . ثم أرسل تهديده إلى السلطان برقوق ولكن برقوق قتل رسله ورفض تهديدات تيمور لنك على الرغم من كلمات الود والمحبة التى تضمنتها رسالته سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م الذى جاء فيها « بان يسلم برقوق نفسه وشعبه بسلام لأنه يريد من برقوق المحبة وتبادل الكتب وأن يأتى الرسل ويعودوا

(١) المقريزى : السلوك جـ٢ ص ٢٠٥ .
- برتولد شبولر : المرجع السابق ص ٩٤ .
- على إبراهيم حسن : تاريخ المماليك البحرية . القاهرة ١٩٦٧ م ص ١٦١ - ١٦٣ .
- عبد العزيز عبد الدايم : المرجع السابق ص ٨٠ .

(٢) برتولد شبولر : المرجع السابق ص ١٢٢ - ١٣٠ .
- رؤوف الانصارى : المرجع السابق ص ١٥٩ .

فى يسر بين بلدينا وأن ينتقل التجار بين البلدين فى أمن حتى تنتعش البلاد ويكثر السكان ويعيشوا فى سلام [١] .

وأخذ برقوق يعقد اتفاقيات مع التركمان وبنى عثمان لصد ذلك الخطر الجديد إلا أن تيمور انشغل بتوسعاته فى بلاد الهند ثم عاد منها سنة ٨٠١ هـ / ١٣٩٩م فى الوقت الذى توفى فيه برقوق، فاقتحمت جيوشه بلاد الشام فى حلب سنة ٨٠٣ هـ/ ١٤٠٠م وهزم جيوش السلطان الناصر فرج قرب دمشق فى نفس العام ثم توفى تيمور لنك بعد ذلك سنة ٨٠٧ هـ/ ١٤٠٥م بسمرقند وتعرضت دولته للتمزيق بسبب النزاع بين ورثته[٢] .

ومن خلال هذه المقدمة التاريخية عن العلاقة السياسية بين تيمور والمماليك يتضح أن هناك المئات من الفنانين والمعماريين من البلاد التى فتحها تيمور لنك خاصة بغداد والشام قد جلبوا إلى مدينتى سمرقند وبخارى[٣] .

ومن هنا تشابهت بعض العناصر المعمارية والزخرفية فى مصر والشام بين هاتين المدينتين كما سيأتى الحديث .

واستمرت بعد ذلك علاقات طيبة قائمة بين المماليك الجراكسة وهذه المناطق التيمورية خاصة فى عهد ابناء تيمور مثل شاه رخ وميراشاه وألغ بك وأبو سعيد ميرزا وأحمد ميرزا أمراء سمرقند وبخارى وتجلت فى عمائرهم كثير من العناصر الفنية المتشابهة بين مصر وبلادهم بسبب العلاقات الطيبة كما سبق القول وبسبب طرق الحرير وطرق الحج[٤] .

ولم ترد إلينا سواء على الطبيعة أو فى المصادر التاريخية ذكر عن آثار ترجع إلى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى تلك الفترة التى شهدت فيها بلاد آسيا

(١) حكيم أمين عبد السيد : قيام دولة المماليك الثانية ١٩٦٧م ص ١٦٨ .

(٢) شرف خان البدلسى : شرفنامة ترجمة محمد على عون . مراجعة يحيى الخشاب . ١٩٦٢م ص ٦٥ - ٦٧ .

- سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ١٩٧٦م ص ١٦٧ .

(٣) أرمينيوس فامبرى : تاريخ بخارى - ترجمة أحمد محمود الساداتى . مراجعة يحيى الخشاب . القاهرة ١٩٦٥م ص ٢٤٩ .

(٤) سوسن سليمان : الخانات السلجوقية والوكالات المملوكية على طرق الحرير (أبحاث الندوة العلمية العالمية بالقاهرة لطرق الحرير من ٤ : ٥ نوفمبر ١٩٩٠م) ص ٣٠٤ ، ٣١٥ .

الوسطى كثير من الدمار والخراب على أيدى المغول الذين دمروا خلال سنتى ٦١٧ هـ / ١٢٢٠م ٦١٨ هـ / ١٢٢١م مدن أوركنج وبخارى وسمرقند وترمذ وغيرها . وكانت العمائر هناك قبل هذا الغزو بقليل تكتسب مستوى عالى وراقى فى العمارة وفنونها الزخرفية خاصة العمائر التى بنيت فى خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين .

إلا أنه سرعان ما دبت روح التسامح وبداية دخول الإسلام فى نفوس خلفاء جنكيز خان كما سبق القول الأمر الذى انعكس بصور جلية على إقامة المنشآت الإسلامية فى عهد هؤلاء الوثنية . فقد استطاع جغتاى الابن الثانى لجنكيز خان أن يضمد جراح اقليم بخارى على سبيل المثال والذى كان يقطر دما فنظم البريد وقام بعمل مساواة بين أصحاب العقائد الدينية المختلفة فعهد بحكومة بلاد ما وراء النهر (بخارى) إلى شخص مسلم هو مسعود بك وهو ابن محمود يلواج الذى اضطلع بدوره بمنصب شبيه بذلك فى الصين ، فأخذ الفلاحون والصناع يعودون بالتدريج إلى مزاولة حرفهم ، وأدى هذا إلى إنشاء كثير من العمائر فلم يأت عام ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤م حتى تحولت خرائب بخارى إلى منشآت جديدة فأقام مسعود بك وسرقونى بك مدرسة ذكرت المراجع العربية والأجنبية أنها كانت تزدحم بألوف الطلبة لدراسة مختلف أنواع المعرفة[1] . كما شيد فى بخارى المدرسة الخانية التى بنيت على نفقة الملكة - سور قتتنى بيكى (آرملة تولوى)[2] .

كما أن قمة التسامح الدينى بين حكام المغول فى هذه الفترة وبين أهل البلاد كان قائما والدليل على ذلك بقاء ضريح قثم بن عباس بالقرب من سمرقند ، ذلك الضريح الذى كان يعتبر مزارا للمسلمين والمغول معا ويقول فى ذلك ابن بطوطة (وبخارج سمرقند قبر قثم عباس بن عبد المطلب رضى الله عن العباس وعن ابنه وهو المستشهد حين فتحها . ويخرج أهل سمرقند كل ليلة اثنين وجمعة إلى زيارته والتتر يأتون لزيارته وينذرون له النذور العظيمة ويأتون إليه بالبقر والغنم والدراهم والدنانير فيصرف بذلك فى النفقة على الوارد والصادر ولخدام الزاوية (يقصد المدرس بجواره والتى بناها السلطان سنجر) والقبر المبارك . وعليه قبة قائمة على اربع أرجل ومع كل رجل ساريتان من الرخام منها الخضر والسود والبيض والحمر ، وحيطان القبة بالرخام المجزع المنقوش بالذهب وسقفها مصنوع بالرصاص . وعلى القبر خشب الأبنوس المرصع مكسو الأركان

(١) أرمينيوس فامبرى : تاريخ بخارى - ص ١٨٤ ، ١٨٥م .

(٢) فاسيلى فلاديمير وبارتولد : تركستان ص ٦٧٠ .

بالفضة وفوقه ثلاثة من قناديل الفضة ، وفرش القبة بالصوف والقطن وخارجها نهر كبير يشق الزاوية الستى هنالك وعلى حافتيه الأشجار ودوالى العنب والياسمين ، وبالزاوية مساكن يسكنها الوارد والصادر[١] .

وقد تتناقض الروايات والمصادر فى ابن عم الرسول ﷺ والذى يقال إنه جاء إلى سمرقند عام ٥٦ هـ / ٦٧٦م فهناك من يقول أنه قتل هناك أو مات موتا طبيعيا وهناك من يقول أنه مات بمسرقند أو مرو[٢] .

المهم أن القبر هناك بسمرقند ومزار لجميع الناس وبه الآن شاه زنده كما سيأتى الحديث عنه .

وإذا عرجنا على بعض العناصر الزخرفية فى عمائر القرنين الخامس والسادس الهجريين باعتبارهما الأساس والامتداد للفترة المغولية وما بعدها نجد أن هناك تشابه رائع فى عناصرها الزخرفية ومثلتها فى مصر .

* مسجد نمازكاه فى بخارى والذى يرجع إلى القرن ٦ هـ / ١٢م وهو على مساحة كبيرة مغروسة بالأشجار شأنه شأن جميع المساجد الأخرى المخصصة لأداء فريضة الصلاة فى عيدى الفطر والأضحى اللذين يتوافد عليهما اعداد كثيرة من المصلين .

ونجد أن جدران المسجد والبوابة عليها زخارف كتابية بالخط الكوفى المربع الهندسى ولاسيما جزء من الحائط الغربى (لوحة ١) فنجد تكرار لكلمتى (الملك لله) والتى تكررت مرات كثيرة حول المحراب ، كما نقش على الحائط الداخلى للمحراب اسماء النبى محمد ﷺ والخلفاء الراشدين وظاهرة الملك لله بالخط الكوفى وجدت محفورة على الجص فى زخرفة الدخلة المعقودة بجزء من الايوان المتبق فى بيمارستان قلاوون بشارع المعز وعلى حليات الدخلة المعقودة حول الشباك الأوسط والذى تقع فوق كتلة الدخول إلى قبة المدفن بالجهة الشمالية الغربية ونقش اسم النبى محمد ﷺ واسماء الخلفاء الراشدين أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله عليهم وجدت بصورة رائعة محفورة على الجانب الأيسر

(١) رحلة ابن بطولة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار . دار الكتاب العالمى ط أولى ١٩٩١م ص ١٧٣ .

(٢) البلاذرى : المصدر السابق . القسم الأول ص ٤١٢ .

- Pulat Zakjidov: Architectural Glories of Temur's erd. Taskkent, 1996, P. 8.
- بدون ملف : Architecture Monuments of Mioddle Asia, Bokhara, Samrkand, Leningrad 1969, P. 74.

من مدخل مدرسة السلطان حسن ٧٥٧ - ٧٦٤ هـ / ١٣٥٦ - ١٣٦٢م وهى منقوشة بالحجر المشهر أحمر واصفر ومن المعروف أن الزخارف الخطية الكوفية هندسية الشكل قد انتقلت من ايران والعراق بشرق العالم الإسلامى إلى مصر المملوكية فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى عن طريق هجرة أصحاب الصناعات والحرف المختلفة ممن هاجروا من إيران والعراق إلى غرب العالم الإسلامى فى أعقاب الغزو المغولى [١] .

ومن الآثار القاهرية التى نقشت عليها هذه الكلمات أيضا قبتى التربة السلطانية بالقرافة الجنوبية والمعروفة باسم خانقاة خواند سمرا والدة السلطان حسن حوالى ٧٥٧ - ٧٦٢ هـ / ١٣٥٦ - ١٣٦٠م .

أما على مستوى العالم الإسلامى اضافة إلى ما سبق وجدت فى مدرسة جفتة مينار بسيواس بمنطقة الأناضول فى قاعدة المئذنة ، وفى جامع أشرف أوغلو فى واجهة الباب الخشبى لمنبر الجامع ببايشهر بآسيا الصغرى ، وفى المدرسة الخاتونية ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢م بكرمان بآسيا الصغرى ، وفى أحد جدران مدخل أحد أضرحته مدافن شاه زنده ٧٣٥ - ٨٠٣ هـ / ١٣٣٤ - ١٤٠٠م كما سيأتى الحديث عنها تفصيليا[٢] .

* جامع مغاك عطارى فى بخارى والذى يرجع إلى النصف الأول من القرن السادس / الثانى عشر الميلادى (لوحة ٢) والجدير بالذكر أن هذا الجامع قد رمم على فترات متلاحقة إلى أن وصل إلى حالته الحالية[٣] . فيوجد فى زخرفة البوابة الجنوبية لهذا الجامع زخارف كتابية بالخط النسخى على أرضية نباتية من افرع ملتوية تشبه بتلك

---

(١) سامى عبد الحليم : الخط الكوفى الهندسى المربع حلية كتابية بمنشآت المماليك فى القاهرة ، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ، ١٩٩١م ص ١٠٠ - ١٠٢ .

(٢) سامى عبد الحليم : ضريح السلطانية بالقاهرة ونقوشه الكوفية الهندسية المربعة . (مستخرج من مجلة كلية الأداب - جامعة الاسكندرية ١٩٩١ - ١٩٩٢م) صفحات ١١ - ١٦ .

(٣) Godard (A.), L'Oringine de la madrasa, de la mosquee et du Caravanserial a quatre Iwan. ARS Islamica Vol. XV 1951 P. 5. Fig. 4.

- Oleg Grabar, Islamic Architecture and its decoration A. D. 800-1500. London 1967. P. 49.
- Г. А. ПуГayehkoba, Пam kThn Ru UcRyccTba CobetckoГoCoro a, Cpeg-kA3N. 1983. P. 33.

الموجودة في العقد الرئيسى برباط أزدمر الصالحى قبل ٦٦٧ هـ / ١٢٦٧م بالقادرية ،كما يوجد على يمين ويسار مدخل الجامع - مغاك عطارى - وحدات هندسية مستطيلة الشكل بداخلها زخارف هندسية لاشكال دوائر متعددة ومتقاطعة تشبه تلك المتبقية فى جامع الأمير قوصون ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠م بشارع القلعة ، كما أن زخرفة الحفت والعمود المدمج ذو الناتج الناقوس الإسلامى بجامع مغاك يشبه إلى حد كبير الزخارف المشابهة على قبة خانقاة الأمير سنقر السعدى ٧٢١ هـ / ١٣٢١م بشارع السيوفية .

* الضريح الجنوبى لمدينة أوزكند ويرجع تاريخه إلى سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٦م لوحة (٣) فيوجد على بوابة هذا الضريح زخارف حجرية رائعة عبارة عن كتابات بالخط النسخى على أرضية نباتية بالإضافة إلى الزخارف النباتية والهندسية على الأعمدة المدمجة وتيجانها . فلقد وجدت زخارف وعناصر متشابهة فى عمائر مصر الإسلامية المملوكية فزخرفة العمود المدمج بهذا الشكل السابق تشبه تماما زخرفة الأعمدة المدمجة لاسيما على عمائر أسبلة السلطان الأشرف قايتباى مثال ذلك بما هو موجود فى سبيله الملحق بالوكالة ٨٨١ هـ / ١٤٧٧م بشارع التبليطة ، والسبيل بالصليبة ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩م أما الكتابة النسخية فهى قريبة الشبه فى شكل وزخرفة الحروف فى النص التأسيس الموجود بأعلى المدخل التذكارى لجامع الحاكم من عمل الأمير بيبرس الجاشنكير ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣م . أما ظاهرة وجود الحفت اللاعب فهى موجودة بكثرة على عمائر المماليك فى مصر وتكاد لا تخلو أى عمارة خاصة فى العصر الجركسى من وجود هذا العنصر الزخرفى .

* ضريح شاه فاضل والذى يرجع إلى القرن ٦ هـ / ١٢م بمدينة سفيد بلان بجمهورية قرغيزيا (لوحة ٤) فنجد الزخارف الجصية داخل الضريح خاصة الأشكال الدائرية وما بداخلها من زخارف نباتية ووحدات هندسية متنوعة بارزة والكل محدد داخل إطار بارز تشبه تماما تلك الموجودة داخل الايوان الجنوبى الشرقى المتبقى من خانقاه خواند طغاى أم أنوك زوجة السلطان الناصر محمد بقرافة المماليك .

ثم يأتى بعد ذلك العمائر المعاصرة للفترة المغولية ثم التيمورية ، فالمعروف تاريخيا أن القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى لم يترك منشآت جليلة حيث بدأت تزيل فيه وبالتدريج عواقب العزو المغولى ، ومن النصف الأول من القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى كانت تدشنه نهضة من المعمار ، فقد اعتنق الحكام المغول الإسلام

كما سبق القـول وقاموا ببناء العمائر الدينـية والجنائزية المتنوعة وكذلـك من جاء بعدهم وهم التيموريين .

ومن أبدع ما أدخله العصـر المغولى زخرفة العمائر بالزخارف الخزفية والـفسيفسائية وذلك باستـخدام قطع صغيرة من الـفسيفساء الخزفيـة المتعددة الألوان فى تغشـية أسطح العناصر المعمارية الـهامة فى العمائر ، ولقد بلغت قمة وتطور هـذه الصناعة فى النصف الثانـى من القرن الثامـن الهجرى الرابع عـشر الميلادى ، فتكـونت تشكيلات زخـرفية ونباتية وهندسية وكتابية بألوان رائعة[1] .

أما عن ظاهرة وجود زخرفة الفـسيفساء على العناصر المعمارية فى الـعمائر المملوكية فنجد أنها تنقسم إلى قسمين زخرفة الفسيفـساء الزجاجية والفسيفساء الرخامية ومن أشهر أمثلة الأولـى تلك الموجودة علـى المحاريب فكانت موجـودة فى زخرفة قبة الـصالح نجم الـدين أيوب ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩م بشارع المعـز ، وفى ضريح قبة شـجر الدر ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠م بشارع الخليفة ، وفى محراب مدرسة السلطان قلاوون ٦٨٤ هـ / ١٢٨٦م بشارع المعز ، وفى رباط أحـمد بن سليمـان الرفاعى ٦٩٠ هـ / ١٢٩٠م بباب الوزير ، وفى محراب جامع أحمد بن طولون من تجديدات السلطان المملوكى البحرى لاحين ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦م (لـوحة ٦) ، وفى محـراب المدرسة الطـيبرسـية فى الجامـع الأزهر ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩م . بينما زخرفة الفسيفساء الخزفية والرخامية فنجدها فى أمثلة متعددة على العمائر المملـوكية أيضا منهـا طاقية محراب جـامع الأمير الطنبـغا الماردانى ٧٤٠ هـ / ١٣٤٠م بشارع الـتبانة (لوحـة ٦) ، وعلى زخرفة جـدران رواق القبلـة فى نفس الجامـع ، كما وجدت هذه الزخرفة أيضا فى طاقية محراب مدرسة الأميرة قجماس الأسحاقى ٨٨٦ هـ / ١٤٨١م بشارع الدرب الأحمر .

بينما وجـدت هذه الحلية على واجهة مداخـل المنشآت المملوكية مثـل مدخل مدرسة الـسلطان الأشرف بـرسباى ٨٢٩ هـ / ١٤٢٥م بشارع المعز ، ومـدخل جامع السـلطان المؤيد شيخ ٨٢٤ هـ / ١٤١٢م بالقرب من باب زويلة .

ومـن أمثلـة العناصر المعـمارية التـى ترجع إلى القرن الثامـــن الهجرى / الرابع عـشـر الميلادى والمواكـبة للفتـرة المغولية ضـــريح بيـان قلى فى بخـارى (لوحة ٧) والـــذى يرجـــع تاريخه إلـى سنة ٧٦٠ هـ / ١٣٥٩م فيـوجد ببوابـــة هذا الـضريح

(١) Ernst Diez, Die Kunst Der Islamischen Volker, Berlin, 1915. P. 88 .

عناصر زخرفية كتابية نسخية وزخارف نباتية رائعة تشبه تلك الموجودة فى محراب قبة أيدكين البندقدارى ٦٨٣ هـ/ ١٢٨٥م ، وفى توشيحه محراب مدرسة الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م بشارع المعز ، كما أنه لهذا الضريح قبة بيضاوية بها تربيعات من البلاطات القاشانى الخزفية الزرقاء والخضراء[١] ، ووجدت هذه الظاهرة فى مصر المملوكية خاصة فى رقبة قبة خواند طغاى أم أنوك بقرافة المماليك .

* ضريح طغرا بيك خام بمنطقة كهنة أوركنج (لوحة ٨) والذى يرجع إلى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى نجد أن منطقة انتقال القبة من الداخل خاصة المنطقة المثمنة الطولية فهى تشبه منطقة انتقال قبة الأشرف خليل ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨م بشارع الأشرف ، كما أن زخرفة الفسيفساء من الداخل فى منطقة انتقال قبة طغرا بيك قريبة الشبه من الفسيفساء الزجاجية داخل ضريح رباط أحمد بن سليمان الرفاعى ٦٩٠ هـ / ١٢٩٠م .

* ضريح قثم بن عباس عم الرسول محمد ﷺ فى سمرقند ويرجع تاريخ إنشاء المبنى إلى سنتى ٧٣٥ - ٧٣٦ هـ / ١٣٣٤ - ١٣٣٥م[٢] . (لوحة ٩) وهو الآن بداخل مجموعة شاه زنده والتى كانت أقدم منشآت عهد ما قبل تيمورلنك وينتمى إلى هذه المجموعة بعض الأضرحة التى بنيت فى القرن ٨ هـ / ١٤م قبيل التيموريين مثل ضريح خواجه أحمد اليسوى (لوحة ١٠) وضريح آخر يرجع إلى سنة ٧٦٣ هـ / ١٣٦١م[٣] .

وظاهرة عمل ضريح قثم بدرجات مستطيلة من الرخام أو الحجر فوق بعضها البعض تصل من درجتين إلى أربعة قد وجدت فى كثير من التركيبات الجنائزية المملوكية قبل ما هو موجود داخل قبة الرجال فى خانقاه فرج ٨٠١ هـ بالإضافة إلى زخرفتها بزخارف كتابية ونباتية وأشكال بيضاوية منفذة بالحفر البارز وقد وجد شبيها لها على جانبى مدخل مدرسة السلطان حسن ٧٥٧ - ٧٦٤ هـ / ١٣٥٦ - ١٣٢٦م ، وفى مدرسة الأمير

(١) Grabar (Oleg), Op. Cit., P. 50.

(٢) كالينا بوكاخبكوا : مزدر آسياى مركزى . تهران ، لوحة ١٨ .

(٣) آثار الإسلام التاريخية فى الاتحاد السوفيتى ، ص ٧ .

- Grabar (Oleg), Op. Cit., P. 54 .

صرغتمش ٧٥٧ هـ / ١٣٥٦م ، وعلى جدران جامع الطنبغا الماردانى ٧٤٠ هـ / ١٣٤٠م ، بينما نجد زخرفة القبة المفصصة البيضاوى الخاصة بضريح أحمد اليسوى شبيه لها فى مصر المملوكية مثل قبتى سنجر وسلار ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣م بشارع مارسينا ، وقبة مدرسة تتر الحجازية ٧٦١ هـ / ١٣٦٠م بالجمالية ، وقبتى خواند بركة أم السلطان شعبان ٧٧٠ هـ / ١٣٦٩م بشارع التبانة .

* ومن عمائر القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى قصر آقاسراى فى مدينة شهر سابز أو المدينة الخضراء كما يطلق عليها[١] (لوحة ١١) يوجد فى الجدار الداخلية للقصر زخرفة العمود المدمج الحلزونى البارز وفى مصر المملوكية كثر استخدام هذه الزخرفة فى العمائر مثل العمود المدمج بالناصية الشمالية لمدرسة السلطان حسن ، وفى الأعمدة المدمجة بالواجهة الجنوبية الشرقية لجامع السلطان المؤيد شيخ ٨٢٤ هـ / ١٤١٢م بشارع المعز جنوبا . كما يوجد دخله معقودة بنفس القصر من الداخل عليها زخارف من الجص حفرا بارزا وغائرا تشبه إلى حد كبير زخرفة أحد الشبابيك الجصية المفرغة فى جامع الناصر محمد ٧٣٥هـ / ١٣٣٤م بالقلعة خاصة زخرفة النجمة السداسية .

* وفى العقد الثامن من القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى برزت عمائر تيمور حيث يرتبط باسمه مجموعة عرفت باسم شاه زنده[٢] على منحدرات مدينة أفراسياب ، وتعد هذه المجموعة من أجل المجموعات المعمارية فى آسيا الوسطى وبها مسجدان أحدهما صيفى والآخر شتوى ، ولا يقتصر جمال المجموعة على تنوع الزخرفة وكثرة ألوانها ، بل أيضا التخطيط الرائع ومهارة المعماريين فى الالتزام بفن من سبقوهم ، وعدم الاخلال بالاتزان المعمارى الفنى ما بين منشآة وأخرى ، وقد أصبحت هذه المجموعة فى عهد تيمور مكانا لدفن آل تيمور وكبار موظفيه[٣] ومنها :

---

(١) Grabar(Oleg), Op. Cit., P. 54.

(٢) كلمة فارسية تتكون من شقين « شاه » بمعنى الملك و «زنده» بمعنى الحى أى الملك الحى .

- Grabar (Oleg), Op. Cit., P. 53.

(٣) آثار الإسلام التاريخية فى الاتحاد السوفيتى ، ص ٩ - ١٠ .

- Papadopoulo (A), Islam and Muslim Art. Paris, 1946. P. 526.

- Grabar (Oleg), Op. Cit., P. 53.

- F. A. Пyrayehkoba, Op. Cit., OL. 167 - 177.

* ضريح تركان آقا وقد بنى بين سنتى ٧٧٣ - ٧٧٤هـ - ١٣٧١ - ١٣٧٢م[١] فيوجد فى بوابته (لوحة ١٢) من الزخارف النباتية الرائعة المشكلة بأسلوب ملتوى تكون من أفرع يخرج منها مراوح نخيلية وانصافها تشبه تلك الموجودة فى الزخارف الجصية التى تتقدم قبة المنصور قلاوون ٦٨٤ هـ / ١٢٨٦م ، كما يظهر الإطار البارز الذى يحدد هذه الزخرفة وهو المعروف باسم الجفت اللاعب ذى الميمات وتلك الزخرفة والوحدات المستديرة استمرت على الآثار المصرية فى العصر المملوكى فى الواجهة الرخامية لحمام بشتاك ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ن بسوق السلاح ، وعلى جانبى مدخل السلطان حسن ووجد شبيه لهذا العنصر فى مدخل سبيل وكتاب عبد الرحمن كتخدا فى شارع المعز ١١٥٧ هـ .

* ضريح طوغلوغ تكين ويرجع تاريخه إلى سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٧٥م[٢] فيوجد على بوابته زخارف نباتية أرابسك موزعة توزيعا هندسيا فى بعض الأحيان (لوحة ١٣) بالإضافة إلى زخرفة الأعمدة المدمجة ذات القواعد والتيجان الإسلامية الطراز (على شكل الناقوس المقلوب) والكل مزخرف بزخارف نباتية دقيقة خاصة تيجان الأعمدة ولقد انتشرت هذه الظاهرة فى العمائر المملوكية فى مصر وهى ظاهرة زخرفة الأعمدة المدمجة التى بقواعدها وتيجانها فنجدها فى زخرفة الأعمدة المدمجة التى تزين قبة خانقاة سنقر السعدى من الخارج ٧٢١ هـ / ١٣٢١م بشارع السوفية . وفى قبة الأشرف خليل من الخارج ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨م ، وزخرفة الأعمدة الرائعة على عمائر السلطان قايتباى ولاسيما على سبيله فى شارع الصليبية .

* ضريح قاضى زاده الرومى والذى يرجع إلى القرن ٩ هـ / ١٥م . (لوحة ١٤) فيوجد قبتين بهذا الضريح تشبه الخوذة لكل منهما خوذ بعض القباب الملساء المملوكية ذات القطاع النصف الدائرى المدبب فنذكر على سبيل المثال قطاع قبة خانقاه بيبرس الجاشنكير بالجمالية ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩م . وقطاع قبة الفداوية بشارع الجيش ٨٨٦ هـ / ١٤٨١م ، وقبة يعقوب شاه ٩٠١ هـ / ١٤٩٦م بشارع صلاح سالم . أما تغشية القبة كلها بمجموعة من التكسيات الخزفية الخضراء اللون فنجدها فى مثال رائع فى مصر فى قبة محراب جامع الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة ٧٣٥ هـ / ١٣٣٤م

(١) The Architectural Treasures of Uzbekistan. A Museum in the Open. Tashkent, 1981, P. 100.

(٢) Pulat Zakhidov, Architectural Glories of Temur's Era, P. 35.

على الرغم من أن هذه الكسوة ترجع إلى ما بعد عصر انشاء الجامع كما تتميز رقبة قبتى ضريح قاضى زاده بالرقبة الممتدة من بعد منطقة الانتقال وقد شوهدت فى مصر المملوكية فى قبة مدفن خانقاة شيخو ٧٥٦ هـ / ١٣٥٠م بالصليبية ، وقبة مدرسة صرغتمش ٧٥٧ هـ / ١٣٥٦م بالصليبية ، وقبتى التربة السلطانية ٧٥٧ - ٧٦٢ هـ / ١٣٥٦ - ١٣٦٠م . وفى قبة يونس الدوادار ٧٨٣ هـ / ١٣٨٢م بباب الوزير .

* وهناك منظر عام لمقابر شاه زنده من الجهة الغربية [١] . يضم مجموعة من القباب الأخرى لهذه الجبانة فنجد منها القبة ذات الرقبة الممتدة مثل المثال السابق (لوحة ١٥) والقبة المفصصة وبالإضافة إلى أمثلة القبة ذات الرقبة الممتدة نجد أن هناك كثير من القباب المملوكية تأخذ شكل التضليع المفصص فى وضع رأسى مثل قبة مدرسة قراسنقر ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠م بالجمالية ، وقبتى خانقاه سنجر وسلار ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣م بشارع مراسينا ، وقبة مدرسة تتر الحجازية ٧٦١ هـ / ١٣٥٨ بالجمالية ، وقبتى مدرسة أم السلطان شعبان ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨م بشارع باب الوزير وغيرها من القباب .

* مسجد بى بى خانم والذى بنى فى الفترة من ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩م إلى ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤م فى مدينة سمرقند (لوحة ١٦) . وقد تعمد تيمور لنك أن يشيد هذا المسجد ليصبح أضخم مسجد فى العالم الإسلامى أملا أن يكون على غرار طراز عمارة مسجد الألف عمود الذى كان مشيدا فى مدينة دلهى بالهند[٢] . ويقع هذا المسجد فى وسط مدينة سمرقند وهو أحد أبرز معالم الحضارة الإسلامية فى آسيا الوسطى وقد أعيد بناء بوابته الرئيسية فى فترات لاحقة من حكم تيمور لنك[٣] . ولقد استقدم تيمور لنك أكثر من مائتى فنى ماهر من مدينة باكو وإيران والهند لقطع ونحت حجارة هذا المسجد وأعمال الرخام والتى لا تزال آثارها باقية إلى اليوم[٤] .

(١) H. Saladin, Manuel D'art Musulman. Paris, 1907, p. 354.
- Ernst Diez, Op. Cit., P. 89 .

(٢) رؤوف الأنصارى : عمارة المساجد ، ص ١٦٠ .
- Papa dopoulo (A.), Op. Cit., p. 528.
- The Architectural Treasures of Uzbekistan Amuseum in the Open. pp. 96 - 112.

(٣) Architectural Monuments of Middle Asia, pp. 46 - 50.

(٤) Pulat Zakhidov, Op. Cit., 65.

وأهم ما يميز معالم هذا المسجد الزخرفية بوابته الرئيسية المزينة بكثير من العناصر الزخرفية مثل الكتابات النسخية ، والمربعة والزخارف النباتية ، والأطباق النجمية ، وزخارف تشبه البخاريات وهذه العناصر تشبه فى مصر المملوكية فيمايلى :

* زخرفة الأطباق النجمية تشبيه تلك الموجودة فى الزخارف الجصية على قبة خانقاة سنقر السعدى من الخارج ٧٢١ هـ / ١٣٢١م بشارع السيوفية .

* زخرفة البخاريات وجدت على زخرفة بعض القباب من الخارج مثل قبة الأمير جانم البلهوان ٨٨٣ هـ / ١٤٧٨م ، وقبة مدرسة خايربك ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢م بشارع باب الوزير ، وقبة مدرسة قانى باى الرماح ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢م بميدان القلعة .

* زخرفة المساحات المربعة وبداخلها كتابة بالخط الكوفى المربع الهندسى فى كثير من المداخل لاسيما مدخل جامع ومدرسة السلطان حسن ٧٥٧ - ٧٦٤ هـ / ١٣٥٦ - ١٣٦٣م ، وفى مدخل جامع المؤيد شيخ ٨٢٤ هـ / ١٤٢٠م ، ومدخل مدرسة فيروز السافى ٨٣٠ هـ / ١٤٢٦م بحارة المنجلة ومن أجمل الأمثل والتى تشبه تلك الموجود فى مسجد بى بى خانم موجودة داخل قبة يشبك من مهدى ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩م بميدان حدائق القبة خاصة فى أركان اضلاع القبة . وكما سبق القول أن الكتابات الكوفية المربعة كانت من أهم العناصر الزخرفية المتبادلة بين آثار مصر وآثار آسيا الوسطى ، وإذا كانت فى الأولى منفذة بالرخام الملون من أبيض وأحمر وأسود باستخدام أسلوب صناعى رخامى وهو من أسلوب التنزيل واستخدام المعجون ، فإننا نجده فى الثانية يستعمل باستخدام الألواح الخزفية القاشانية باحجام مختلفة وألوان متعددة[1] .

* ظاهرة كتلة الدخول التى يتقدمها مساحة مستطيلة مقببة وجدت فى مصر فى مدخل جامع الأمير الطنبغا الماردانى ٧٤٠ هـ / ١٣٤٠م وقد سبق هذا المثال وهو شبيه له إلى حد ما مدخل جامع الحاكم ٤٠٣ هـ / ١٠١٣م بنهاية شارع المعز شمالا والمداخل المحورية الثلاثة بجامع الظاهر بيبرس ٦٦٧ هـ / ١٢٦٩م بحى الظاهر .

(١) حسين مصطفى حسين : المحاريب الرخامية فى القاهرة فى عصر المماليك البحرية ، مخطوط رسالة ماجستير ١٩٨٢م ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة .

- Ernst Diez, Op. Cit., P. 100.

* ضريح كور أمير (جور أمير) (لوحة ١٧) ويرجع إلى سنة ٨٠٧ - ٨٠٨ هـ / ١٤٠٤ - ١٤٠٥م[١] . وقد تميز هذا الضريح بالكثير من العناصر الزخرفية المتنوعة منها القبة المفصصة التى تبدأ بحطتين من المقرنصات ، زخرفة المعينات الكتابات النسخية والكوفية المربعة ، وحدات المقرنصات المتعددة الحطات الموجودة أعلى فتحة المدخل ، بالإضافة إلى الزخرفة المفرغة الهندسية لشبابيك الواجهة . وعلى هذه الظواهر توافرت فى العمارة المملوكية فنجدها على التربة السلطانية بشارع صلاح سالم خاصة فى الكتابة الكوفية المربعة فى رقبة القبة وفى الشكل العام المفصص ذى الهيئة البصلية ، كما تشبه القبة أيضا فى شكلها العام المفصص بعضض قباب المماليك فى مصر وأقرب مثال فى ذلك قبة أنس الدوادار فى الحطابة ٧٨٣ هـ / ١٣٨٢م . وفى شكل قبة خواند طغاى أم أنوك ٨ هـ / ١٤م بقرافة المماليك ، وقبة أبو اليوسفين ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠م بشارع التبانة ، وقبة مدرسة تتر الحجازية ٧٦١هـ / ١٣٤٨م بالجمالية وقبة جامع شيخو ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩م بالصليبية ، وقبة تتكزيغا ٧٦٠هـ / ١٣٦٠م بالحلمية ، وقبتى مدرسة أم السلطان شعبان ٧٧٠ هـ / ١٣٦٩م بشارع باب الوزير وغيرها .

أما عن وجود بعض من الوحدات المقرنصة تعلو فتحة باب الدخول فيوجد أمثلة شبيهة فى مصر مثل باب جامع الأمير الماس الحاجب ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م بشارع الحلمية ، باب جامع الأمير بشتاك ٧٣٦ هـ / ١٣٣٦م بدرب الجماميز ، وباب جامع الأمير الطنبغا المردانى ٧٤٠هـ / ١٣٤٠م بشارع التبانة ، وفى القصور المملوكية نجد هذه الظاهرة فى باب بقايا قصر الأمير آلين آق الحسامى ٦٩٣ هـ / ١٢٩٣م بشارع باب الوزير .

وعن ظاهرة وجود الشبابيك المعقودة التى تزين جدران المجموعة وقبة جور أمير وهى مفرغة بالجص والحجر وتزدان بالزخارف الهندسية المتنوعة مثل الأشكال الدائرية

(١) Architectural Monuments of Middle Asia, P. 51-53.
- F. A. Pyrayehkoba, Op. Cit., Pl. 195 - 199.
- David James: Islamic art an introduction. New York, 1973, p. 92-93.

وهذا الضريح لتيمور لنك شيده مع عدة عمائر أخرى وجور أمير كلمة فارسية تتكون من شقين «جور» بمعنى قبر « وأمير » بمعنى قبر الأمير .

(٢) عبد النعيم حسنين : قاموس الفارسية ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٨٢ ، ص ١٨٥ .

المتقاطعة[1] ، والأشكال النجمية ، وانتشرت هذه الظاهرة فى بعض الأثار المملوكية البحرية مثل ما هو موجود فى شبابيك جامع الظاهر بيبرس ٦٦٧ هـ / ١٢٦٩م بحى الظاهر ، وفى شبابيك مجموعة قلاوون ٦٨٤ هـ / ١٢٨٦م بالنحاسين ، وبعض شبابيك الجامع الطولونى من عمل السلطان لاجين ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦م ، وفى زاوية زين الدين يوسف ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨م بشارع القادرية ، وفى جامع الناصر محمد بالقلعة ٧٣٥ هـ / ١٣٣٤م ، وبقايا جامع الأمير قوصون ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠م بشارع محمد على .

* مدرسة أولوغ بك[2] سنة ٨٢٠ هـ / ١٤١٧م فى بخارى (لوحة ١٨) وتتميز هذه المدرسة بالعديد من الزخارف الهندسية والكتابية والنباتية ، ومن أهم سمات عناصرها الزخرفية الشبابيك الجصية المفرغة بدوائر دقيقة متقاربة مثلما هو فى مجموعة جور أمير السابقة ، بالإضافة إلى ظاهرة العمود المدمج المتقابل مع نظيره فى الجهة المقابلة والذى يبدأ بتضليع رأسى لمسافة قصيرة ثم يأخذ الشكل الملتوى ، وهذه الظاهرة موجودة بصورة مماثلة فى الأعمدة المدمجة فى أركان مدرسة السلطان حسن ٧٥٧ - ٧٦٤ هـ / ١٣٥٦ - ١٣٦٣م بميدان القلعة ، وفى الأعمدة المدمجة بواجهة القبلة من الخارج لجامع المؤيد شيخ ٨٢٤ هـ / ١٤١٢م بشارع المعز جنوبا ،

(١) كثر استخدام الدوائر المستديرة والمتقاطعة على عمائر تيمور ، ويبدو أن هناك تقارب بين هذه الزخرفة وشارة تيمور لنك والتى كانت عبارة عن ثلاثة حلقات مستديرة بجوار بعضها البعض مع شعار « رستى راستى » بمعنى « العدل قوة » ويظن أن هذه الحلقات المستديرة تشير إلى أن سلطانه يشمل مناطق ثلاث هى الجنوب والغرب والشمال . انظر أرمينيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٥٠ .

(١) خلف تيمور لنك بعد وفاته أبنه شاه رخ عام ٨٠٧ - ٨٥١ هـ / ١٤٠٥ - ١٤٤٧م والذى نقل مركز الحكم من سمرقند إلى عاصمة جديدة بإقليم خراسان الواقعة قرب الحدود الأفغانية هى مدينة «هراه» ثم عهد بحكومة بلاد ما وراء النهر إلى ابنه الأكبر أولوغ بك والذى كان محبا للعلوم والفنون والوحيد بين التيموريين الذى ظل اسمه لقرون عديدة يذكر مقرونا بالإجلال والاسم الحقيقى له هو « محمد تورغاى » ، ولهذا الأمير الكثير من العمائر فى بخارى وسمرقند وكلها بديعة فى العمارة من حيث الضخامة والفن .

- أرمينيوس فامبرى : المرجع السابق ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

- Papadopoulo (A.), Op. Cit., p. 527.

- Architectural Monuments of middle Asia, pp. 55-56.

وعلى القباب وجدت فى الزخرفة الخارجية لخوذة قبة مدرسة الأمير أيتمش البجاسى ٧٨٥ هـ / ١٣٨٣م بشارع باب الوزير .

* مدرسة أولوغ بك[١] سنة ٨٢٣ هـ / ١٤٢٠م فى مدينة سمرقند (لوحة ١٩) وهى تشبه فى عناصرها الزخرفية المدرسة السابقة فى بخارى فبالاضافة إلى عنصر العمود المدمج والشبابيك المفرغة ، نجد أن لهذه المدرسة مآذنة رائعة تقع فى الركن الشمالى الشرقى للمدرسة تتميز بوجود أربع حطات من المقرنصات الحجرية فى نهاية قمتها وهى شبيهة بتلك المقرنصات الموجودة فى مآذن زواية الهنود ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠م فى شارع باب الوزير ، وخانقاه سنجر ورسلا ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣م بشارع مراسينا ، وخانقاه بيبرس الجاشنكير ٧٠٦ هـ / ١٣١٠م بالجمالية وخانقاه سنقر السعدى ٧٢١ هـ / ١٣٢١م بشارع السيوفية .

* وبقرية جوق بجمهورية نخجوان يوجد مبنى لضريح يرجع إلى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى (لوحة ٢٠) ويأخذ هذا الضريح شكل قاعدة المآذن المملوكية بمصر وأهم ما يميزه مجموعة من الدخلات المعقودة بعقد ثلاثى شغلت جميعا بوحدات رائعة من الزخارف الحجرية الغائرة قوامها أشكال هندسية دقيقة لدوائر وأطباق ومثلثات وأشكال زجزاجية - وكلها غير مكررة - وتشبه هذه الوحدات فى العمارة المملوكية الدخلات المزخرفة بالجص فوق الباب الشمالى الغربى للمدخل من الداخل فى جامع الظاهر بيبرس ٦٦٧ هـ / ١٢٦٩م بحى الظاهر وفى الشبابيك الجصية المفرغة فى بقايا جامع الأمير قوصون ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠م بشارع محمد على .

* وبمدينة طشقند توجد مدرسة ترجع إلى بداية العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى (لوحة ٢١) وهى مدرسة كوكلتاش ولهذه المدرسة مجموعة من العناصر الزخرفية والمعمارية ، حيث يوجد على جانبى المدخل الرئيسى دخلات معقودة ومربعة بداخلها كتابات كوفية مربعة ، ويوجد على الواجهة فتحات مستطيلة

(١) Ernst Diez, Op. Cit., p. 101. Abb 131.
- Grabar Oleg, Op. Cit., P. 53.

ومعقودة لشبابيك مفرغة بزخارف هندسية متنوعة ، كما تضم المدرسة قبة ملساء الشكل ذات قطاع مدبب على غرار بعض القباب المملوكية .

وإذا تتبعنا تشابه هذه العناصر مع بعض العناصر بمصر المملوكية نجد أن ظاهرة وجود كتابات كوفية مربعة على جانبى المدخل منتشرة فى بعض المداخل كما سبق القول مثل مدخل مدرسة السلطان حسن ، وجامع المؤيد شيخ ، وجامع ومدرسة فيروز الساقى ، ومدرسة الأمير جانى بك الأشرفى الدوادار بالمغربلين ، وعلى جانبى مدخل البيمارستان المؤيدى بسكة الكوفى بالمحجر .

وظاهر القبة الكبيرة الملساء دونما زخرفة وذات قطاع مدبب موجودة فى خانقاة بيبرس الجاشنكير بالجمالية ٧٠٦ هـ / ١٣٠٦م ، وفى قبة يعقوب شاه المهمندار بشارع صلاح سالم ، وقبة يشبك من مهدى (الفداوية) ٨٨٦ هـ / ١٤٨١م ، وكذا قبته الحدائق وهكذا ومن خلال هذا السرد لبعض آثار الجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفيتى السابق نجد أن هناك الكثير من العناصر المتشابهة بينها وبين العمائر المصرية فى العصر المملوكى ، فنجد أحيانا تأثيرات مصرية على تلك العمائر وفى أحيانا أخرى نجد العكس ، وهذا يؤكد أن هجرة الصناع كانت قائمة بين المنطقتين وتبادل الصناع كان مستمرا بينهما ، والسبب فى ذلك كما سبق القول يرجع إلى الظروف السياسية والحروب وسيطرة المغول ثم التيموريين على هذه المناطق من جهة ثم العلاقات الطيبة بين حكام مصر وحكام هذه المناطق من جهة أخرى .

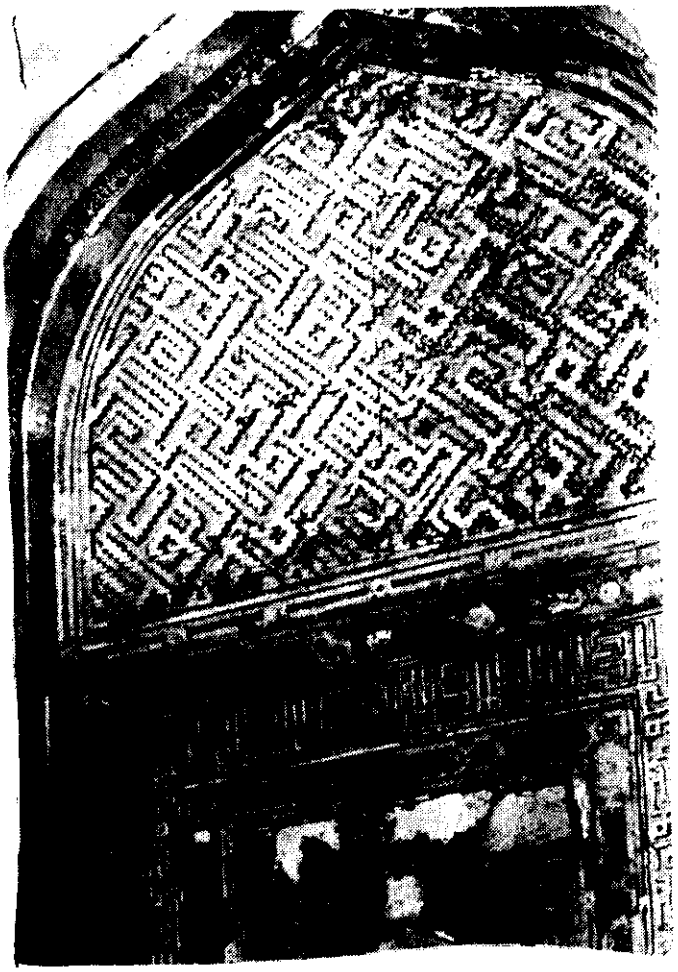

لوحة (١) جزء من الحائط الغربى لمسجد نمازكاه فى بخارى

لوحة (٢) البوابة الجنوبية لجامع مغاك عطارى فى بخارى

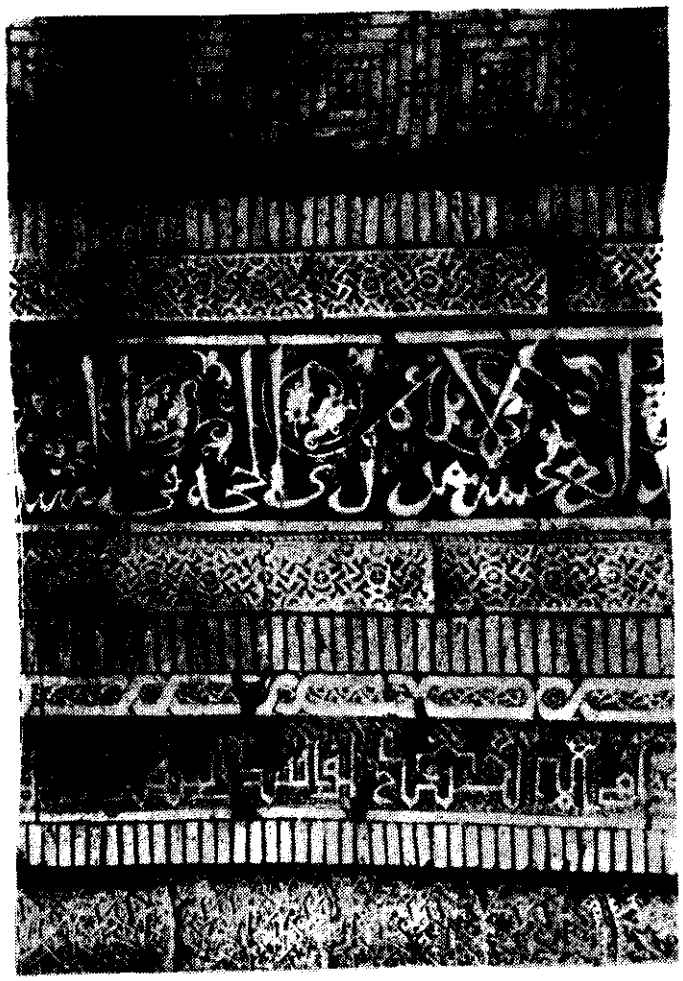

لوحة (٣) جزء من قبة الضريح الجنوبى لمدينة أوزكند

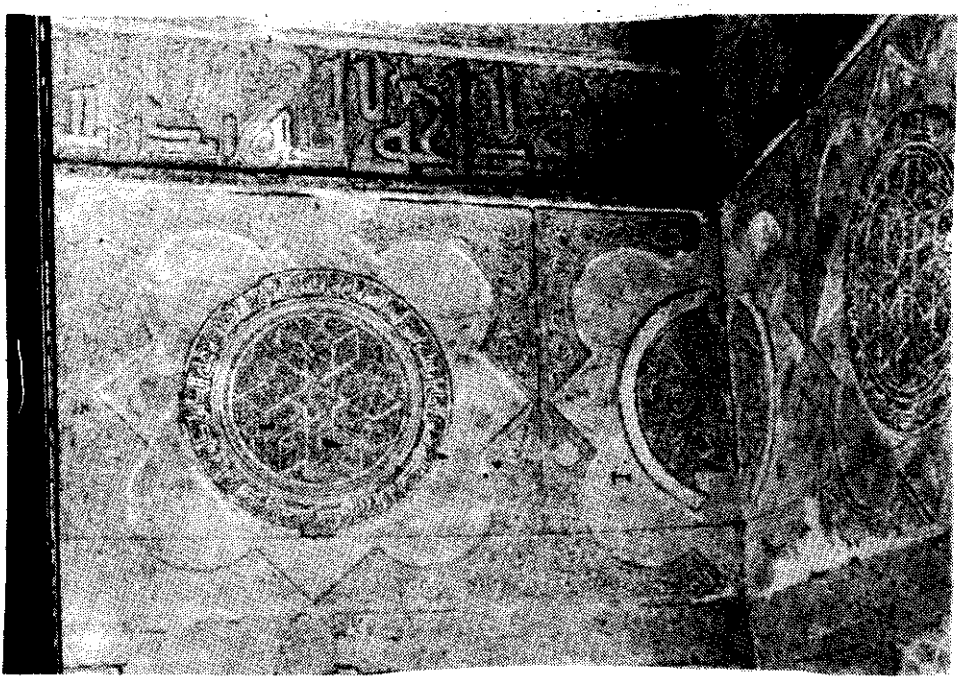

لوحة (٤) داخل ضريح شاه فاضل بمدينة سفيل بلان جمهورية قرغيزيا

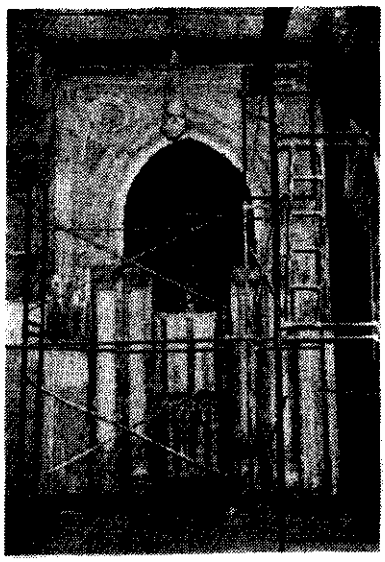

لوحة (٥) زخرفة الفسيفساء الزجاجية فى محراب جامع أحمد بن طولون

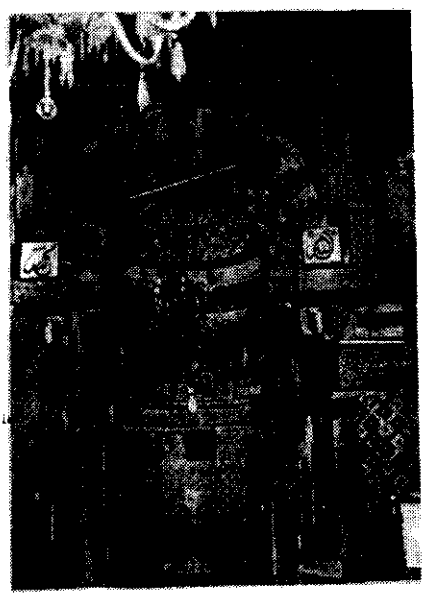

لوحة (٦) زخرفة الفسيفساء الرخامية فى محراب جامع الطنبغا المارداني بالقاهرة

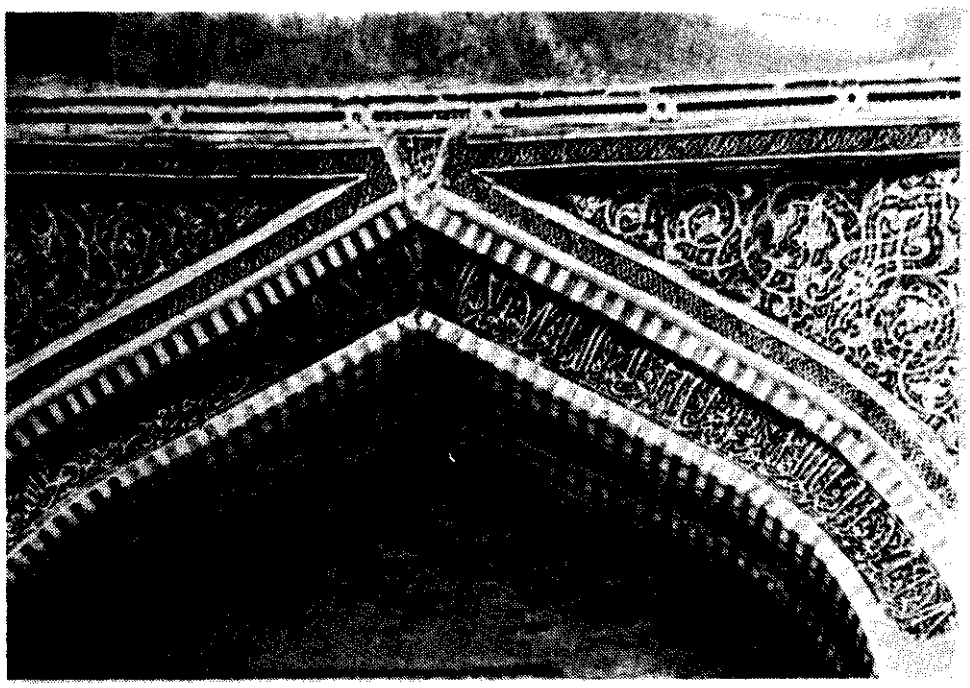

لوحة (٧) بوابة ضريح بيان قلى فى بخارى

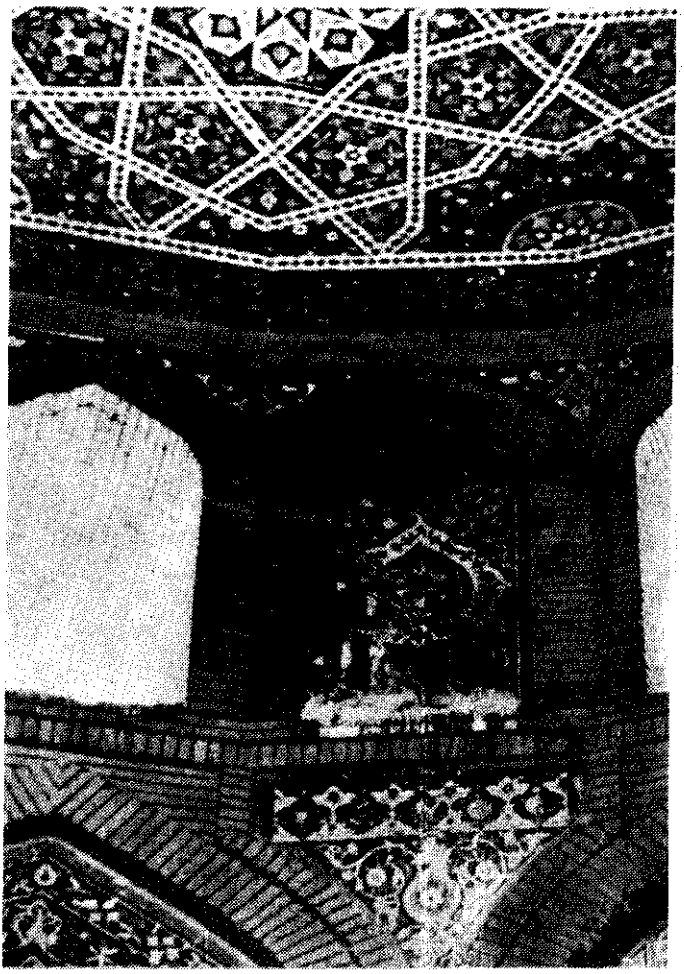

لوحة (٨) منطقة إنتقال قبة ضريح طغرا بيك بأوركنج

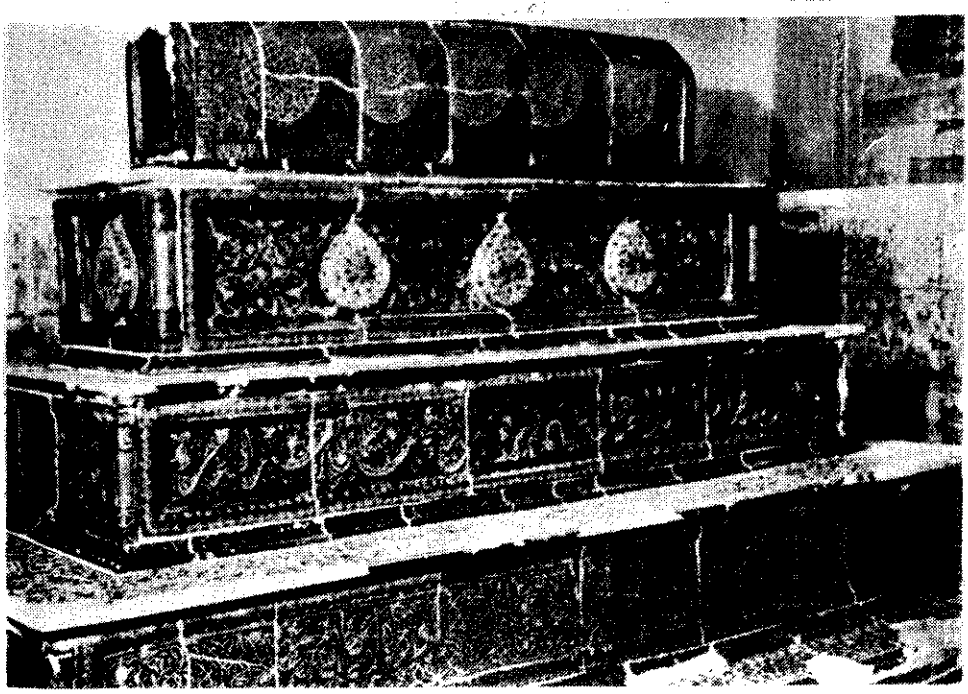

لوحة (٩) ضريح قثم بن عباس فى مدينة سمرقند

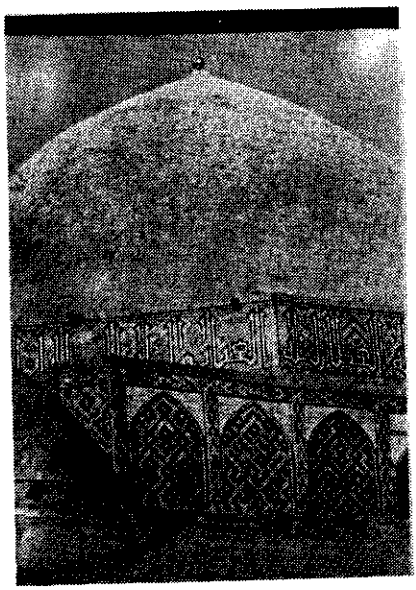

لوحة (١٠) ضريح أحمد اليسوى . شاه زنده سمرقند

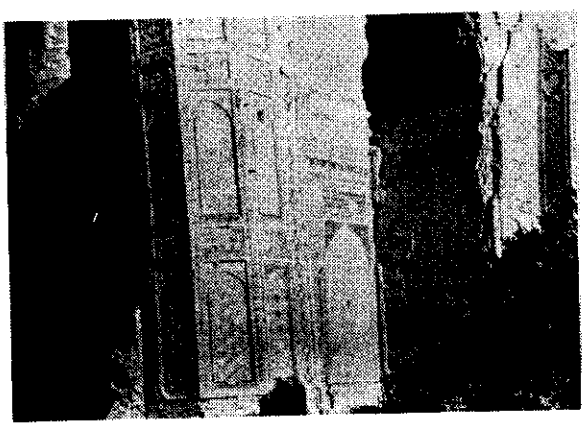

لوحة (١١) زخرفة جدران قصر آقاسراى من الداخل بمدينة شهرسابز

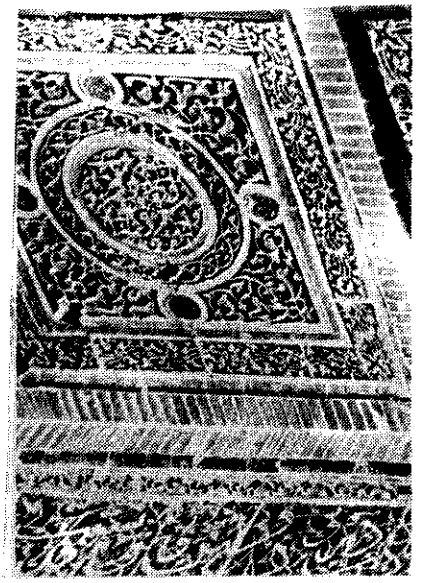

لوحة (١٢) جزء من زخرفة بوابة ضريح تركان آقا شاه زنده . سمرقند

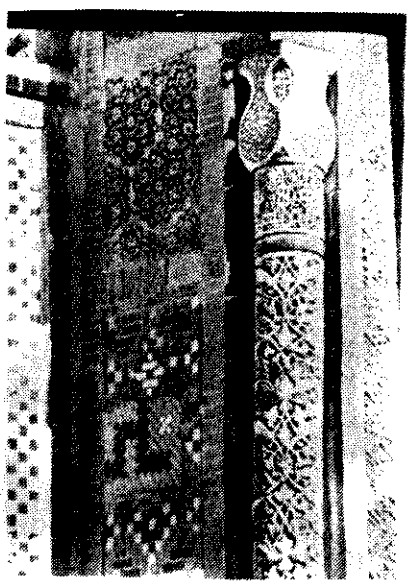

لوحة (١٣) جزء من بوابة ضريح طوغلوغ تكين شاه زند . سمرقند

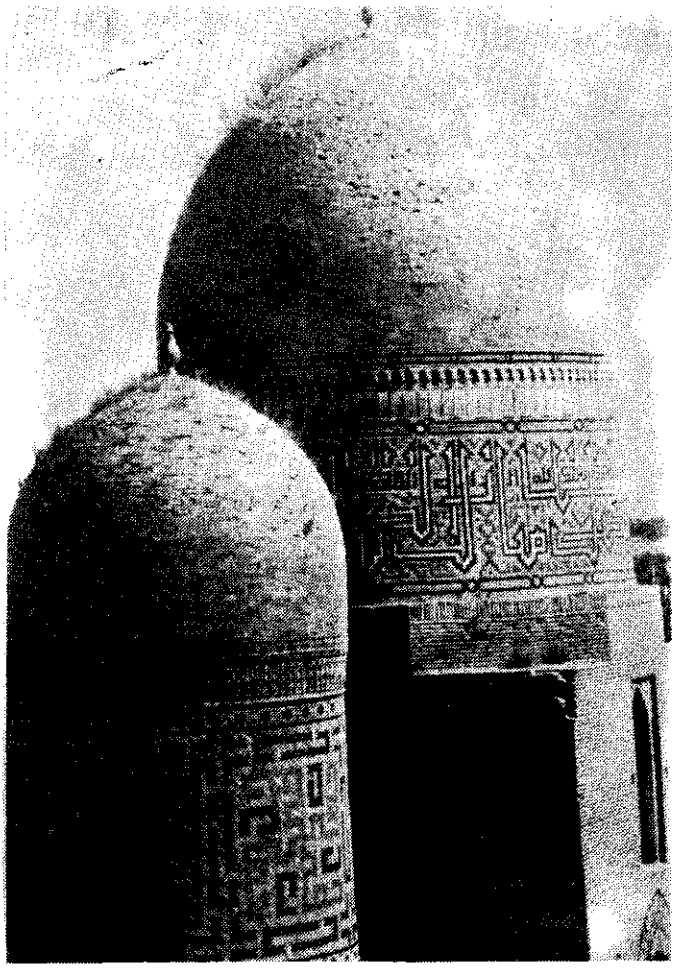

لوحة (١٤) ضريح قاضى زاده الرومى . شاه زنده . سمرقند

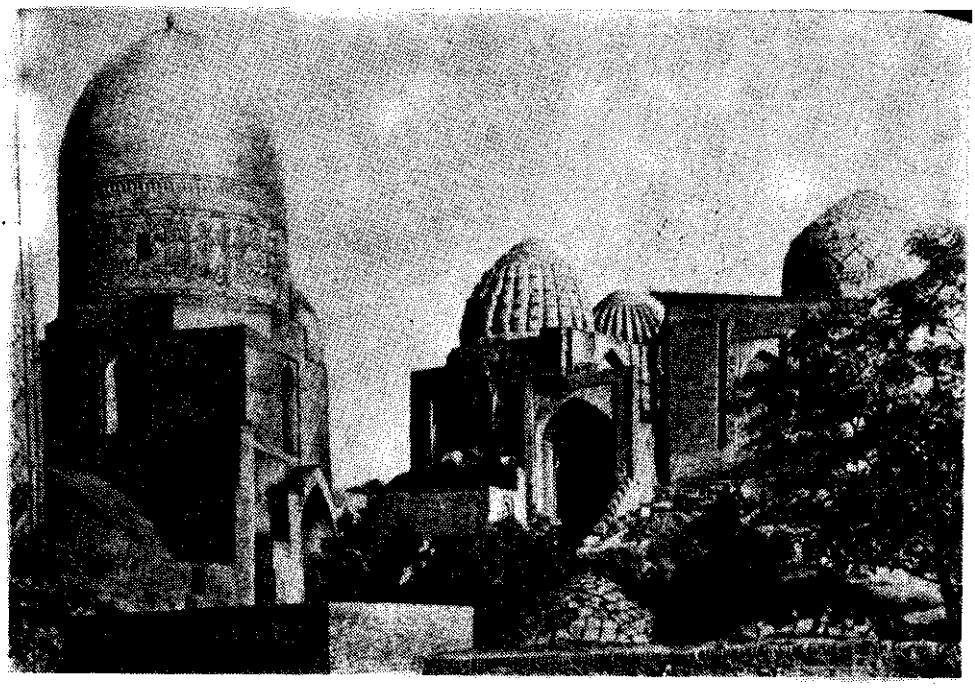

لوحة (١٥) منظر عام لمقابر شاه زنده من الجهة الغربية . سمرقند

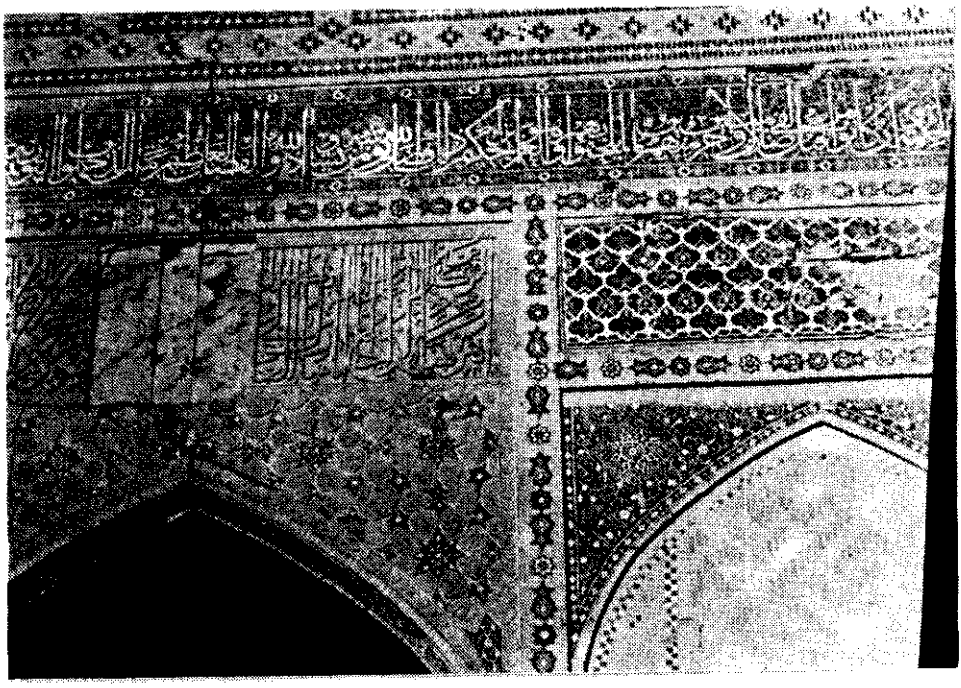

لوحة (١٦) زخرفة بوابة مسجد بى بى خانم فى سمرقند

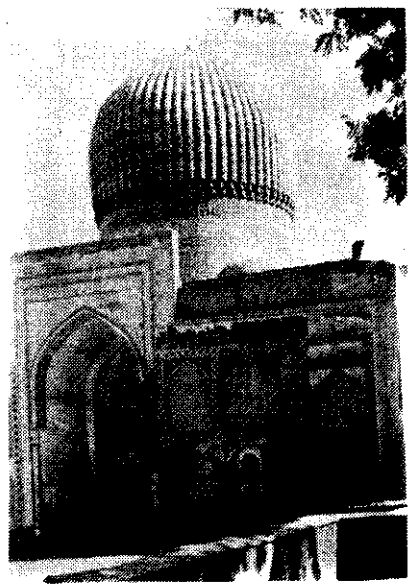

لوحة (١٧) ضريح جور أمير فى سمرقند

لوحة (١٨) مدخل مدرسة أولوغ بك فى بخارى

لوحة (١٩) زخرفة العمود المدمج بمدخل مدرسة أولوغ بك بسمرقند

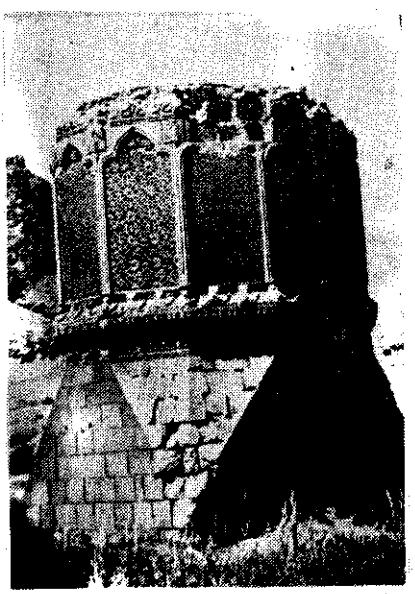

لوحة (٢٠) ضريح بقرية چوق بجمهورية نخجوان يرجع إلى القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى

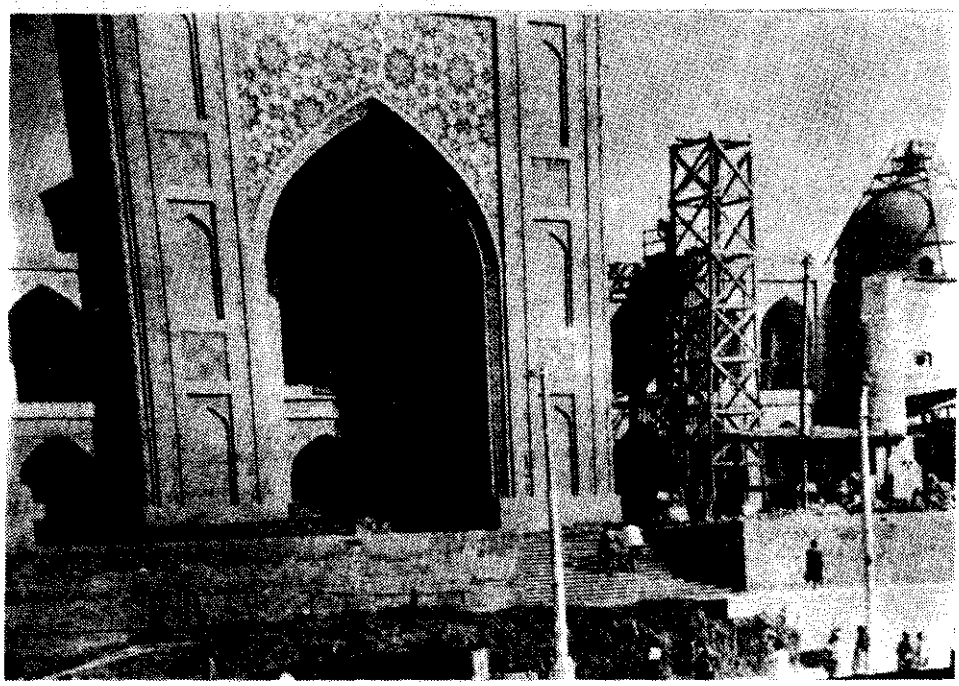

لوحة (٢١) واجهة مدرسة كوكلتاش بمدينة طشقند